دراسات فنية
مخبر الفنون والدراسات الثقافية
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
Algerian Scientific Journal Platform

المجلد08: العدد: .01.**(2022)** **ص.189./.203**

مسالك الفن التشكيلي الجزائري ومعالم حضوره في الرواية –عابر سرير لأحلام مستغانمي نموذجا–

The paths of Algerian plastic art and the features of its presence in the novel Bed passerby to- Ahlam Mosteghanemi as a model-.

ساحي سعيدة[1]، أ.د.بوزار حبيبة[2]

[1] جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان مخبر الفنون و الدراسات الثقافية تلمسان

saida.sahi@yahoo.com

[2] جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان مخبر الفنون و الدراسات الثقافية تلمسان

bouzar2010@ymail.com

تاريخ الارسال:2021-07-18 **تاريخ القبول:**2022-12-17 **تاريخ النشر:2022-12-29**

معلومات المقال

الكلمات المفتاحية:

- ✓ **الفن**
- ✓ **الفن التشكيلي**
- ✓ **الرواية**

الملخص:

تهدف الدراسة إلى توضيح مدى جمالية التداخل الحاصل بين الفن التشكيلي الجزائري والرواية من خلال البحث في مسالك ومعالم حضور الفن التشكيلي الجزائري في الرواية، التي جعلته يتسرب إلى احد النصوص الأدبية " الرواية "، مع توضيح الأثر الفني الذي تركه النص البصري (الفن التشكيلي) على النص الأدبي (الرواية) لمعرفة الدور والإضافة التي حققها فن التصوير في الرواية، هذه الأخيرة طرحت في بناء فني محكم، فقد كان للفن التشكيلي دور ووظيفة فيها هدفها الوصول إلى المتلقي والمتذوق للفن بكل أنواعه، فالرواية شملت معظم الفنون كالموسيقى، الشعر، الرسم، التصوير و غيرها، فهذا الثراء الفني منحها حلة فنية جديدة مكنتها من الوصول إلى نفوس الجماهير بسهوله ،فجاءت هذه الدراسة على أحد الروايات الجزائرية للكاتبة " أحلام مستغانمي " في روايتها الشهيرة الموسومة ب " عابر سرير " عن طريق دراسة تحليلية لبعض اللوحات الفنية الموظفة في الرواية للفنان الجزائري " حسين زيان " .

Article info

Abstract :

The study aims to clarify the aesthetic overlap between the Algerian art and the novel by researching ,Features of the presence of Algerian plastic art in the novel, which made it infiltrate into one of the literary texts the novel, while clarifying the artistic impact left by the visual text left (plastic art) On the literary text of the novel, and knowing the role and the addition achieved by the art of photography in the novel, the latter was presented in a tight artistic structure, as the figurative art had a role and function in it aimed at reaching the recipient and connoisseur of art in all its forms. the novel included most of the arts Such as music, poetry, drawing, photography, and others.. This artistic richness gave it a new artistic suit that enabled it to reach the hearts of the public easily, this study come to one of the Algerian novels of the writer "Ahlem Mosteghanemi "in Her novel, taggedas "Passes by " through an analytical study to some art paintings used in the novel of the Algerian acter "Hocin Zayan ".

Received ……..

Accepted ……..

Keywords:

- ✓ The Art
- ✓ Plastic art
- ✓ *The novel*

ساحي سعيدة

مقدمة:

الإنسان كائن اجتماعي يتأثر ويؤثر بما حوله ،أودعه الله العقل ليفكر و الحواس يدرك بواسطتها عالمه الداخلي والخارجي، لهذا نجده يعبر عن مختلجاته سوءا بالكتابة أو الرسم، فعلى مر العصور القديمة عبّر الإنسان عن وجوده بالنقوش والرسم على الصخور لكل ما يراه سرعان ما ابتكر الكتابة التي خلدت مآثره وحماسته وبطولته، ونتيجة للتطور الحاصل في حياة الإنسان بمختلف أنماطها انعكس على مشهده الفكري فارتقت كتابته وفنه في آن واحد، ولهذا نلاحظ الارتباط الوثيق بين الفن التشكيلي والأجناس الأدبية فرغم أن لغة الفن التشكيلي هي الألوان والمساحات وتركيبها مع بعضها البعض من أجل تحقيق الإبداع، تبقى لغة الأدب هي: الألفاظ والجمل والمعاني بغرض إنشاء مواقف مثيرة للعاطفة وتشويق القارئ ومحاكاته لتعبير عن رأيه .

إن كل هذه الخصوصيات التي تميز كل تخصص عن آخر، ورغم وجود ميزة فارقة بين الفن التشكيلي والأجناس الأدبية إلا أن هناك تداخل يتجسد في تحقيق الجمال فصخب الألوان وضجة الأشكال وسحر اللفظ وروعة العبارة تسرق حواس المتلقي

ليتذوق نكهة المنتوج هذا ما شهدته كل من الرواية والفن التشكيلي في تداخل متجانس. **فكيف نفذ الفن التشكيلي الجزائري إلى الرواية ؟.**

تعتبر الرواية من بين الأجناس الأدبية الأكثر انفتاحا واستقطابا للأجناس الأدبية الأخرى فقد ثابرت واجتهدت" في أن تحتقب صفات الجناس الأدبية الأخرى ، وأن تستفيد من فنون مختلفة غير الأدب ...كما استطاعت أن تهضم وتستثمر عناصر متناثرة كالوثائق، المذكرات والأساطير، الوقائع التاريخية، التأملات الفلسفية، التعاليم الأخلاقية، الخيال العلمي، الإرث الأدبي والديني بكل لأنواعه" (عادل فريحات، 2000)

لمعالجة الإشكالية المطروحة **"كيف نفذ الفن التشكيلي الجزائري إلى الرواية "** كانت الخطة كالتالي:

التطرق لبعض المفاهيم حول الفن التشكيلي والفن الروائي من ثمّ معرفة العلاقة بين الفنون والأدب. وأخيرا معرفة طبيعة تداخل النص الروائي بالفن التصوير من خلال دراسة إحدى الروايات الجزائرية التي مثلت هذا الجانب رواية –عابر سرير – وتسليط الضوء على اللوحات الموظفة داخلها ومعرفة دلالتها الرمزية ، وذلك بإتباع المنهج الوصفي التحليلي.

تعريف الفن :

اختلفت نظرة العلماء والفلاسفة حول إعطاء مفهوم واحد وشامل للفن فهناك من يعرفه على أنه "مجموع المهارات البشرية على اختلاف ألوانه ،بدليل أننا نتحدث عن الفنون النافعة والفنون التطبيقية والفنون الجميلة والفنون الكبيرة والفنون الصغرى." (حسين على ، 2010، صفحة 18) فغالبا ما نجد أن الفن يمثل القدرة على امتلاك المهارة الكافية للتعبير عن أفكاره ومشاعره هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يعرف الفن على أنه " الفعالية الإنسانية التي تستهدف خلق الجمال وابداعه بواسطة الوسائل التي يتخذها الإنسان وسيلة ومادة لعمل تعبيري جميل. " (ميشال عاصي، 1970، صفحة 34).

فالفن هنا هدفه خلق الجمال والتعبير عنه عن طريق استغلال الوسائل الضرورية لذلك، كما يعرف الفن على أنه " انعكاس لما يكنه الإنسان في داخله، والتعبير عنه بأشكال مجسمة لها ملامس مختلفة فهو ذلك النشاط الإنساني الذي يقوم على ابتكار أشكال غير مألوفة ، وعلى الوسائط كالخامات و الأدوات إلى غايات أو أعمال فنية محسوسة ملموسة ، وهو ترجمة لأفكار جمالية معبرة". (خليل محمد الكوفحي، 2009، صفحة 10) .

و في تعريف آخر للفن نجد أنه "تطبيق الفنان معارفه على ما يتناوله من صور الطبيعة فيرتفع به إلى مثل أعلى تحقيقًا لفكرة أو عاطفة يقصد به التعبير عن الجمال الأكمل تلذيذًا للعقل والقلب، والفن مهارة يحكمها الذوق والمواهب ". (أسماء بنت عبدالله، 2007، صفحة 10).

و منه يمكن حصر تعريف الفن على انه نشاط إنساني هدفه إثارة الشعور ويختلف حسب غايته داخل المجتمع فقد تكون غايته تحقيق منفعة ما كالصناعة و الحرف اليدوية أو تحقيق الجمال فيعطي معنى الفن الجميل .

1.الفن التشكيلي الجزائري :

الجزائر من البلدان العربية التي تمتلك إرث حضاري يمتد إلى مناطق المغرب الكبير (شمال أفريقيا)إضافة إلى تأثره الكبير بالصناعات التقليدية الفخارية و النسيجية المتوارثة عبر الأجيال، كما لا يمكن أن ننكر فضل تعاقب الحضارات.

في تحصيل هذا الإرث المتنوع كالحضارة الفينيقية والرومانية والبيزنطية ،وهذا ما أكده الفنان إبراهيم مردوخ في كتابه قائلا:

" لا شك أن هذا الإرث الحضاري ما هو إلا خلاصة انصهار الحضارات المختلفة التي عرفتها الجزائر كالفن البدائي والفن البربري والفن الإسلامي وفنون شعوب البحر المتوسط مثل الإغريق والرومان والبيزنطيين ،ومن حضارتنا الوطنية ما يزال قائما في ارض الجزائر العميقة الشاسعة نجد آثار الطاسيلي في الجنوب الشرقي من المناطق الصحراوية وتعد هذه المواقع متحفا في الهواء الطلق تعرض مئات النقوش التي خلقها انسان العصر البرونزي من خلال رسومات متنوعة والتي تجسد بعضا من مظاهر حياته اليومية" . (ابراهيم مردوخ ، 2005، صفحة 07) فقد مثلت هذه الأثار الحياة كاملة للحضارة القديمة " والملاحظ ان المواصفات الطاسيلية لم تندثر من الحركة الفنية الجزائرية، حتى بعد الفتوحات الإسلامية، وارتباط الجزائر بالأمة العربية سواء في المشرق أو الأندلس." (البخوش، 2007، صفحة 22)

تأثر الفن الجزائري خلال المائة عام الماضية بالأحداث السياسية التي مربها الشعب الجزائر، حيث كان لهذه الأحداث دورٌ هامٌ في بلورة توجهات الفنانين الفكرية والفنية . وامتاز هذا الفن بالبحث الدؤوب عن أدوات تعبيرية وبصرية تعكس هذه الأحداث ، حيث كانت أحيانا مرتبطة بالتقاليد والتراث الفني المحلي وأحيانا أخرى بتجارب الفن العالمي ، إذ استفاد كل فنان منها حسب اطلاعه ومعرفته ، ونتج عن هذا الوضع ظهور بعض الأساليب والمدارس والتقنيات والرؤى، ويصعب القول أن الحركة الفنية التشكيلية الجزائرية حققت لها خصوصية تميزها عن غيرها من الحركات الفنية في العالم إلا في قاسم واحد مشترك جمع كافة الفنانين الجزائريين ووحدهم وهو موضوع الجزائر أثناء الاحتلال وبعد الاستقلال الذي لعب دورا مركزيا في غالبية أعمالهم.

2. تعريف الرواية

هي فن نثري سردي من أشهر أنواع الأدب العربي ، تستمد أحداثها من الواقع، أو الخيال ،أو من الواقع والخيال معا فهي المرآة التي تعكس واقع الإنسان المعاصر في تساؤلاته وانشغالاته ،غير أنه لا يوجد تعريف شامل وجامع للرواية كجنس أدبي " فتتخذ الرواية لنفسها ألف وجه ، وترتدي في هيئتها ألف رداء وتتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل ، مما يعسر تعريفها تعريفا جامعا مانعا، وذلك لأننا نجد الرواية تشترك مع الأجناس الأدبية الأخرى بمقدار ما تتميز عنها بخصائصها وأشكالها الحميمية " (عبد المالك مرتاض، 1998، صفحة 11) وهي من أكثر الفنون الأدبية انتشارا وشهرة في العالم تعتمد على السرد في وصف الأحداث على شكل قصة طويلة متسلسلة، ويتم ذلك عن طريق عناصر متداخلة :الشخصيات، المكان والزمان، الحوار، السرد.

فالرواية هي جنس أدبي قادر على الإفادة والاستفادة من الفنون الأخرى، حيث بنيت الرواية في هيكل فني يمكن تحديده فيما يلي :

3.البناء الفني للرواية :

بداية نجد الروائي نجيب محفوظ قد وصف الرواية بأنها " الفن الذي يوفق ما بين شغف الإنسان الحديث بالحقائق، وحنينه الدائم إلى الخيال" (عادل فرحات، 2011، صفحة 08). فاستطاع الفن الروائي بذلك أن يستلهم بعض خصائصه عن طريق مزج الواقع والخيال، ونفوذ باقي الأجناس الأدبية ،كالسينما، والموسيقى والشعر، مع جمع عناصرها كالرسائل، والوثائق والمذكرات، والأساطير، والوقائع التاريخية، والخيال العلمي فاطلق عليها ملحمة العصر، وتختلف الرواية الفنية عن الرواية غير الفنية في عدة مسائل، لكن الأسس التي تفرق بين الرواية الفنية عن غيرها، تنحصر في تطلع الرواية الفنية إلى الواقع ولا تعتمد على الوهم والجنوح في الخيال، وأيضاً أنّ الرواية الفنية تعطي التجربة الذاتيّة والحس الإنساني شئناً، في حين أنّ الاشكال الأُخرى تعتمد على الجنوح في الخيال، والرواية الفنية عبارة عن نثر روائي واقعي كامل في ذاته وله طول معين؛ إلا أنّ طول الرواية ليس العنصر المميز الوحيد لها، بل مصداقية الرواية والصفة الواقعيّة هنا جاء بمعنى عام الحياة الواقعيّة بخلاف الرومانسية التي تتجه إلى الهروب من الواقع و كلاهما يختلفان في بناء الحدث، ورسم الشخصية، وتشابك العقدة.

ويصعب تحديد مفهوم البناء في الرواية لتعدد الأفكار ومفاهيم حوله" فكلمة البنية في أصلها تحمل معنى المجموع، أو الكل المؤلف من عناصر متماسكة، يتوقف كل منهما على ما عداه، ويتحدد من خلال علاقته بما عداه، فهي نظام، أو نسق من المعقولية التي تحدد الوحدة المادية للشيء فالبنية ليست هي صورة الشيء أو هيكله، أو التصميم الكلي الذي يربط أجزاءه فحسب؛ إنما هي القانون الذي يفسر الشيء ومعقوليته، فهي بناء نظري للأشياء، يسمح بشرح علاقتها الداخلية، وبتفسير الأثر المتبادل بين هذه العلاقات...وأي عنصر من عناصرها لا يمكن فهمه إلا من خلال علاقته في النسق الكلي الذي يعطيه مكانته ، فمفهوم البنية مرتبط بالبناء المنجز من ناحية، وبهيئة بنائه، وطريقته من ناحية أخرى، وكينونة هذا البناء لا تنهض إلا بتحقيق الترابط والتكامل .. بين عناصره" (مرشد أحمد، 2005، صفحة 19).

أما اصطلاحا فيعبر مصطلح البناء حسب جان موكاروفسكي من خلال الأثر الفني بأنّه" بنية أي نظام من العناصر المحققة فنيا، والموضوعة في تراتبية معقّدة تجمع بينها سيادة عنصر معين على بقية العناصر" . (لطيف زيتوني ، 2012، صفحة 38).إن البناء الفني للرواية غيّر من طابعها و منحها جمال و جاذبية أكثر، إضافة إلى ارتباطها الوثيق بالجانب الفني التشكيلي خاصة الصورة التشكيلية (اللوحة الفنية) .

4.الصورة التشكيلية

الصورة أو اللوحة التشكيلية هي السطح الذي يعمل عليه الفنان للخروج بعمل فني، فهي لغة بصرية حسية تبرز القيم الجمالية التعبيرية، والوصول للمتعة الجمالية يقصد بها في هذا البحث الصورة كمصطلح فني تشكيلي إنها " العمل الفني Art

work أو اللوحة ، التي أنتجها الفنان وسكب فيها أفكاره روحية وعواطفه عن طريق وسائل وأدوات تلوين وأجهزة مختلفة فهي تتكون من الشكل والمضمون والمادة ، وتأتي كفعل إيجابي لتفاعلهم معا، وتاريخيا لازمت الصورة الإنسان منذ عهده بالحياة" (طارق عابدين إبراهيم عبد الوهاب، 2012)

أصبح للصورة التشكيلية دور هام من خلال عملية التواصل بين المتلقي والفنان وتحفيزا للناظر من خلال صياغة الألغاز والأفكار داخل اللوحة فيمكن القول أن فن الرسم تعبير صامت عن الأشياء الصارخة وتسليط للضوء على الزوايا المعتمة في الواقع وبحث متواصل، فمع تطور الفنون أصبح هناك علاقات مختلفة تكاملية وترابطية بين الفنون، التي أضفت عليها الجمالية من خلال اقتحام اللوحة الفنية عالم الرواية .

5. صلة الأدب بفن التصوير

رغم وجود تمايز بين الفنون والادب إلا ان هناك تداخل واضح بينهما، فمنذ القديم ارتبط المسرح بالرسم والتمثيل والأدب من خلال كتابة القصة وسيناريو..... فنفاذ الفنون إلى الادب عبر مسالك متعددة منحتها نظرة أخرى بالنسبة للفنان والمتلقي معا حيث أصبح الوصول إلى بعضهما أسهل من خلال الأعمال الفنية والأدبية، " وتأسست العلاقة بين فن الأدب وفن التصوير من خلال محاولات نفوذ احدهما إلى الآخر عبر الأزمنة المتعاقبة قصد تشكيل زمن ومكان جيدان مدارهما الرؤية التخيلية التي تبث خيوطا تحاورية بين طرفي الفنانين، فكثيرا ما يرسل الأدب دعوات استضافة لفن التصوير وفق آلية متعددة قصد تعميق البعد التخيلي الذي ترسمه الكلمات في وضعيات تواجها الشعري أو السردي المتعلق مع فن التصوير، فمثلا قد تكون الحاجة إلى الرواية بما هي نص لغوي تخيلي ممتد من الزمان والتاريخ، حاجة للتعبير عن الوجود وعن مشروعية امتلاكه فالفرد في حاجة إلى المتخيل لكي يؤسس عالم الأدب ولكي يعطي لهذا الوجود معناه وقيمته الرمزية التي يستعيرها عن طريق خاصية الوصف في بعض ملامح فن التصوير لحشد الصور الفنية وإغناء التجربة الأدبية ،كما يحدث وأن يتجاوز الأدب والتصوير في ذات الخطاب الإبداعي ". (كربيع، 2015/2014، صفحة 72).

6.الرواية والفنون التشكيلية :

ما نجده ظاهرة بارزة في الروايات المعاصرة ، هو تعبيرها عن سعة موضوعاته وثقافة كاتبها من خلال معرفته لكم كبير من المعلومات سواء كانت أدبية أو فنية قديمة أو حديثة فهو من خلال روايته يحاول أن يستنفذ أقصى طاقته المعرفية و الأدبية لا لشيء إلا ليكسب إعجاب القارئ فهو يمزج الرسم بالغناء والموسيقى فن الباليه إن لم نقل قد تجاوز ذلك إلى ألعاب –كرة القدم خاصة– فأصبح الروائي في سياق كتابته يتذكر بعضا من أشهر الفنانين، الرسامين أو المصورين أو الممثلين أو الشعراء ويقول في هذا الشأن عبد الله أبو هيف عن اللوحة والرواية من خلال متابعة مجموعة روايات تضمنت بحثا مسهبا عن أعمال فنية شهيرة ، بل إن هذه الأعمال تشكل أساسا للرواية بحيث يغدو مقدار الوعي بالعمل الفني لب الرواية مما يساعد على إضفاء بعد آخر

للشخصية داخل الرواية للكشف عن خفايا أعماقها ،فالروائي بعد هذا يريدنا أن نرى وتقول فيرجينيا وولف في هذا الصدد وعبر هذا التواصل من الفن يشكل الكاتب رؤيته الخاصة. (د عبد الوهاب أبو هيف ، 2000، صفحة 141).

فالرواية مثلت الابداع اللغوي المنفتح على الفنون التشكيلية من خلال تصوير الأفكار بدلالات رمزية (الدال و المدلول) عن طريق استغلالها بأعمال فنية تشكيلية كاللوحات الفنية .

"إن صلات الأدب بالفنون الجميلة والموسيقى متعددة الأشكال شديدة التعقيد، فالشعر يستنزل الوحي أحيانا من الرسم أو النحت أو الموسيقى، وقد تغدو الأعمال الفنية الأخرى موضوعات للشعر، شأنها شأن الأشخاص وموضوعات الطبيعة."

(رينيه ويليك وارين اوستين، تر: صبحي محي الدين ، 1987، صفحة 113).

7.دور الفن التشكيلي في الرواية :

إن للفنون التشكيلية دور في تعزيز قدرات الإبداع في مختلف المجال، فالرواية احتوت هذا الجانب لعدة أسباب منها إثراء العمل الروائي بمختلف الفنون، والتأثير على المتلقي من خلال العملية التواصلية التي من المفروض هي موجهة للقارئ فتتعدى ذلك للفنان والنحات والسينمائي وغيرهم ،فقد لعب الفن دور مهم في العملية التواصلية ،كما أن الفن هو شكل من أشكال التعبير الروائي، وتكمن أهميته في إثراء التجربة الروائية والترفيه والتقدير الثقافي وتوظيف الشخصية الفنية للتأثير في المتلقي، فالرواية "كي تحقق ما تصوبوا إليه من تأثير ونجاح ، عليها أن تتعلم من فنون النحت والتصوير والموسيقى كيف تصل إلى الوجدان عن طريق الحواس باستخدام التشكيل واللون وغيره (لشكر حسن، 1431 هـ، صفحة 108).

استطاعت الكاتبة أحلام مستغانمي بأسوبها أن تخلق ثراء فني في روايتها عابر سرير في حضور متنوع للوحات الفنية المنجزة من طرف الفنان خالد بن طوبال وحسين زيان حيث بدى واضحا تأثر الكاتبة بالفن التشكيلي الجزائري كونه يحمل في طياته رسالة إلى متلقي مثلها مثل الرواية فأرادت بذلك الكاتبة جذب القراء وتشويقهم من خلال وصفها للوحات فنية عايشت الوطن الواحد هذا من ناحية ، أما من ناحية ثانية فقد أظهرت أحلام مستغانمي اعتزازها بكل ما يتعلق بالوطن سواء فنا أو غيره وفيما يلي ملخص حول روايتها عابر سرير للتعرف على الفنان حسين زيان من خلال لوحاته التي استعملتها أنامل الروائية أحلام مستغانمي.

8.ملخص رواية عابر سرير:

صدرت رواية عابر سرير سنة 2003وهي مقسمة إلى 8 فصول و319 صفحة وجاءت للتتّم بها أحلام مستغانمي ثلاثيتها الشهيرة ، تدور أحداثها حول مصور استعار اسم "خالد بن طوبال " ليوقع به مقالاته ،جرت أحداث هذه الرواية في

فرنسا حين فاز الصحفي خالد بن طوبال بجائزة أحسن صورة في العالم من خلال صورة التقطها لطفل صغير بقربه جثة كلب مسندا ظهره إلى جدار كتبت عليه شعارات بدم أهلية .

يزور الصحفي خالد بن طوبال معرض جماعي لرسامين جزائريين في باريس وكان أحد الأورقة يحوي لوحات فنية بارعة لجسور قسنطينة فشدت انتباهه وحركت عواطفه و أصبح متلهفا لمعرفة صاحب هذه اللوحات مما دفعه للتعرف على مشرفة المعرض "فرانسواز"التي أصبحت همزة وصل بينه وبين رسام هذه اللوحات وهو الفنان " حسين زيان " .

أقام خالد بن طوبال مع فرانسواز في بيت بطل الرواية الذي كان يرقد في المستشفى بسبب المرض الخبيث وأصبح خالد يذهب لزيارته بالمستشفى وكانت حجته انه صحفي يريد اخذ أقواله المتعلقة بالثورة ،فبعدما أن تعرف على بعضهما وجدا نفسيهما يشتركان في أكثر من جانب.

من خلال معرفة خالد لحياة الفنان حسين زيان خاصة المتعلقة بالوطن والسياسة وابن أخيه وأيضا المتعلقة ب "حياة" فتشير الكاتبة أن شخصية حياة هي المرأة التي كان ينتظرها طويلا لتعود برفقة أمها لرؤية أخيها ناصر في باريس بعد عودته من ألمانيا لأنه يستحيل لقاؤه في الجزائر فالسلطات الجزائرية منعته من الدخول إلى تراب الوطن ،يكتشف خالد في إحدى زيارته لزيان أن حياة كانت هنا من خلال باقة ورد وعلبة شكولاطة فاخرة و نسخة من كتاب " توأما نجمة " .

قرر حيينها خالد أن يشتري أغلى لوحة لزيان في المعرض ودفع ثمنها مما تبقى له من مال الجائزة لأنه اشترى منه فستانا من الموسلين الأسود فحين تأكد من أن حياة في باريس أصبح يفكر في لقائها وفعلا حصل اللقاء في البيت الذي عاشت فيه قصة حب أنكرتها ثم غادرت حياة بعدما أهداها خالد الفستان وحبات الشكولاطة التي أحضرتها أثناء زيارتها لزيان .

ففي ذلك اليوم أراد خالد أن يأخذ بعض المأكولات الجزائرية لزيان في المستشفى لتعلمه الممرضة نبأ وفاته ليعلم أنّ الاتصال الهاتفي المتكرر أثناء موعده مع حياة كان من المستشفى ليخبروه بان حالته سيئة، ثم يعود خالد إلى البيت ويخبر فرانسواز بوفاة زيان وأنه سيعود إلى قسنطينة مع جثمانه لكن واجهته مشكلة نقل الجثمان فأصبح لا يملك مالا بعدما صرفه مبلغ الجائزة فقرر أن يبيع اللوحة التي اشتراها ويشتري بثمنها تذكرة للجثمان حيث رفض عودة جثمان زيان بمال مقترض وفي الأخير تودعه حياة وأخوها ناصر في المطار. (أحلام مستغانمي، 2003).

من خلال هذا الموجز عن رواية عابر سرير بدى واضحا دور الفن في الرواية هو تسهيل الوصول إلى المتلقي من خلال إيحاءات أرادت الكاتبة أن توصلها بطريقة مباشرة وجذابة مما أضفى جمالية فنية مشتركة وهي لوحات الفنان حسين زيان، فروائيّة أحلام مستغانمي كما هي معروفة في الساحة الأدبية رصدت عدة أمور نذكر أهمها:

-استطاعت الكاتبة أحلام مستغانمي بذكاء أن تحسن إدارة وتوجيه الضبابية والالتباس حول شخصية الرجل الحربي الذي أحب حياة بطلة الرواية بين حسين زيان الرسام و خالد بن طوبال الصحفي وعبد الحق وما بينهما من قواسم مشتركة في الشخصية والهوية (عبد اللطيف أرنؤوط، 2013، الصفحات 63-62).

إن اختيار الكاتبة لشخصيتها الفنية في رواية عابر سبيل لم يكن عبثا وإنما كان لغرض مقصود فالفنان حسين زيان كما هو معروض عنه ودلالته في العبارة " إنها لزيان أحد كبار الرسامين الجزائريين "* (أحلام مستغانمي، 2003) إضافة إلى ذلك فهو أحد أبطال الثورة الجزائرية التي تركت وسامها على جسده حيث فقد ذراعه اليسرى في إحدى المعارك الثورية وهذه تعتبر نقطة تلاقي الجزائريين سواء الفنانين أو الأدباء وغيرهم فحبهم للوطن وقساوة الظروف التي عاشها وطننا الحبيب جعلت الأيدي تتحد إلى حد ما وهذا اللقاء بين الفنان والكاتبة خير دليل، إضافة إلى ذلك فالرسام حسين زيان عايش الغربة وكاتبة أرادت أن توضح صورة الفنان المغترب المثقف الذي فرض وجوده ومكانته في خارج البلاد وهي ظروف تتشابه نوعا ما في حياة الكاتبة أحلام مستغانمي حيث أنها عرفتنا على الرسام من خلال لوحاته فكانت رسوماته لجسور قسنطينة المتكررة دلالة على حبه لوطنه ومعاناته لفراقه إضافة إلى ذلك فقد جاءت الرواية مفعمة بالرموز التعبيرية وأهما تلك اللوحات الفنية للفنان حسين زيان فمنها من يرمز للوطن والوطنية وأخرى للحب وبعضها رمز للسياسة ،حيث أن الكاتبة عبرت على الوطن بكل ما تملك إلا أنّها رأت أن تعبيرها ناقصا فلجأت بذلك إلى عملية مزجيّة تداخلية للأجناس الأدبية فكان ملجؤها الفن الذي هو إبداع ورسالة أخرى رمزية تعبيرية صارخة من الألوان والأشكال لتضاعف بذلك لغتها التعبيرية، فمن خلال ذلك نجد أن اللوحة الفنية جسدّت روح الإبداع فقد تقصدت الكاتبة أن تباع بأغلى الثمن فالمقصود هنا ليس النقد وإنما أسمى من ذلك وهو الفن والوطن .

9.توظيف الفن التشكيلي في رواية عابر سرير

إن توظيف الفن التشكيلي في رواية عابر سرير قد ظهر أولا من خلال تأثر الكاتبة الروائية أحلام مستغانمي بالفنون عامة والنص البصري أي اللوحة الفنية خاصة ،كما نجد أن للكاتبة ثقافة فنية واسعة فهي تذكر فنانين عالمين داخل روايتها وهذا دليل على اهتمامها بالجانب الفني التشكيلي ،إضافة إلى ذلك توظيفها للمعارض وكما هو معروض دورها الكبير في تحقيق الانفتاح وظهور شخصية زيان في رواية كفنان لا يعني أنها كانت على صلة به فمن خلال بحثنا حول هذه الشخصية لاحظت أنها قامت بتوظيف الفنون لجذب القراء من جهة ومن جهة ثانية اهتمامها بالفن فاستخدامها بهذه الطريقة البارعة كشف لنا **أن** أحلام مستغانمي قد جسدت الوطن (الجزائر) كمفهوم عام وقسنطينة وكمفهوم خاص في أكثر من صورة .

إن الرسم من الفنون التي استلهمت الكثير من الكتاب والروائيين لتقوية كتاباتهم وتحقيق المتعة الجمالية اللغوية والفنية " ففي العصر الحديث توصل باحثوا هذه الفنون إلى ان الفنون تفسر بعضها بعضا من جوانب متعددة وكثيرا ما تشرح الأعمال الفنية تصوير عمل أدبي معين والعكس، وهنا ظهرت لغة الفن لتلتقي مع لغة الأدب ". (أحمد، 1989، صفحة 119)

اجتمع الفنون في كثير من الاعمال الروائية وفي هذه الرواية كان للرسم واللوحات الفنية طريقتها في التعبير، فقد سبق وأن استعملت الكاتبة مثل هذا التداخل في أغلبية أعمالها، التي اتسمت بالجمالية والابداع السردي الفني "فالإنسان يدرك ما يحيط به من الاشكال في الواقع عبر حواسه، لذا تعد حاسة البصر أهم تلك الحواس وأكثرها حضورا وأكثرها حضورا وفاعلية في استيعاب عالمه وادراكه، وهو ما يؤكده كذلك مجموعة من الباحثين من قبل جيروم ستولينز. (بوعيطة، صفحة 92).

هذا ما برع فيه الفنانون الجزائريون وهو تمثيل الجزائر في أجمل حلة بألوان ولمسات ومشاعر فالجزائر أنجبت من يحافظ عليها بطريقة فنية وروائية بارعة والكاتبة هنا ذكرت احد أبرز الفنانين الجزائريين في روايتها سالفة الذكر من خلال قولها " لزيان أحد اكبر الرسامين الجزائريين ." فشكل الفنان في روايتها الشخصية المحورية الثانية .

فإضافة إلى انه رسام فهو مجاهد واحد أبطال الثورة الجزائرية ..." فأنا بمناسبة مرور ذكرى ثورة نوفمبر أعد مجموعة حوارات مطولة مع شخصيات جزائرية ساهمت في حرب التحرير..." (أحلام مستغانمي، 2003).

10.الفنان حسين زيان:

مواليد 1953 بدلس شرق العاصمة ، لم يلتحق بأحد المعاهد المتخصصة في الفنون التشكيلية ، واعتمد على مواهبه العصامية يميل في أعماله الى المدرسة الواقعية ويوظف الألوان الزاهية شارك في العديد من المعارض بالجزائر وخارجها ، نال شهرة عالمية في السنوات الأخيرة وبرع أكثر في التصميم (البخوش، 2007، صفحة 107)فنان حسين زيان كغيره أحب وطنه وبرع في تجسيده بفرشاته فشخصية زيان في رواية عابر سبيل تختلف ما جاء في واقع الفنان فقد كان توظيف الفن بغرض روائي لم يحوي تفاصيل حياته ولا لوحاته حقيقية .

11.اللوحات الفنية و دلالتها في رواية عابر سرير :

إن تكوين اللوحة الفنية ثري بالدلالات الرمزية سواء كان في الخط أو اللون أو الشكل فهي تعبر عن أفكار وهواجس الفنان التي يحاول أن يوصلها للمتلقي، واللوحات الفنية في رواية عابر سرير أخذت منحنى آخر، حيث مزجت الكاتبة بين الفن البصري والنص الأدبي في تجانس متكامل و قد كان لكل لوحة ذُكرت في الرواية دلالة ورؤية خاصة فقد عبرت عن الوطن والوضع السياسي فيه وتارة أخرى عن الحب وأنواعه.

وفيما يلي نحاول أن نوضح بعض الدلالات الرمزية للوحات الفنان حسين زيان في رواية عابر سرير:

1.9.الوطن و الوضع السياسي :

عمدت الكاتبة التعبير عن الوطن من خلال الرسم و تكرار نفس الموضوع بطريقة مختلفة نوعا ما من لوحة إلى أخرى (جسور قسنطينة)،إن موضوع الوطن واسع ولا يمكن حصره في عدة لوحات فالكاتبة مثلته في صورة فنية غنية بالتعابير، إن كل ما كانت تعانيه الجزائر من ويلات الاستعمار قد أثر على كل كاتب أو فنان أو شاعر فأخذ كل منهم يأخذ خطى مغايرة تمكنه من التعبير عن حب وطنه وطريقة التحرر من الاستعمار ،" فالفنان الجزائري قد ساهم في نشر الثقافة الفنية النابعة من الواقع الوطني، بالرغم من الاحترام والتفاهم الذي لقاه بعد الاستقلال فهو لا يزال في حاجة إلى المزيد من العناية حتى يواصل رسالته النبيلة التي تعهد بنشرها " (إبراهيم مردوخ، 1989، صفحة 44)

نجد أيضا ان الكاتبة ذكرت لوحة تكون فيها اليد الفنان مبتورة تريد مسك تراب الوطن من جهة وجسد زيان من جهة أخرى وهو دلالة عن حب الوطن والشوق إليه برغم الألم.

يخرج الإبداع من رحم المعاناة هنا الكاتبة وضحت في صورة فنية ان معاناة الفنان الجسدية كانت سببا في إسهاماته الفنية للتعبير عن وطنه وفي لوحة الجسور نلاحظ أن لها أكثر من مدلول الجسر يعني تمسك الفنان زيان بالأمل الوحيد الذي لا يريده أن لا يختفي (دلالة على الألم والحزن)كما يعني أيضا وضعية عدم الاستقرار في الوطن (الجزائر)وهو ما دل على الخوف على الوطن.

عكست لوحات الفنان الوضع السياسي المتأزم في الجزائر بنظرة فنية متميزة من خلال عدة دلالات ذكرتها الكاتبة فمثلا اليد والرجل التي تمثل جزء من الجسد لتمثل التكامل وإظهارها في عدة وضعيات دلالة على الوضع السياسي وتوثيقا منها لتاريخ الشهداء والمجاهدين ويظهر ذلك من خلال سؤال خالد لزيان فقال: "بمناسبة مرور ذكرى ثورة نوفمبر أعد مجموعة حوارات مطولة مع شخصيات جزائرية ساهمت في حرب التحرير، فأنت خضت حرب التحرير وعايشت معارك وبطولات تلك الفترة" (أحلام مستغانمي، 2003، صفحة 32)إضافة إلى ذكرها للأبواب وباب هو جزء من البيت أي المأوى والحامي والواجب أن نحافظ عليه.

2.9 الحب :

تمتلك اللوحات الفنية ميزة تظهر الكثير من المعاني والكلمات حيث جسدت الكاتبة قصص حب في روايتها عابر سرير من خلال لوحات فنية لفنان زيان التي كانت متنفسه الوحيد حيث صب فيه كل ما يجول في داخله من حب ومعاناة وألم فمن جهة حبه لحياة ومن جهة أخرى يظهر حبه لقسنطينة ففي كل لوحة أرادت الكاتبة إيصال نوع خاص من الحب فلم يكن هدفها ضيق السبل بل العكس فقد لا يستطيع التعرف على هذه المعاناة إلا من كان له نفسها .

عبرت الكاتبة من خلال روايتها بطريقة سردية أو فنية عن حبها للوطن، فأغلب اللوحات الموظفة في الرواية قد غمرها الحب (حب الوطن وحب المرأة.....)،وفي هذا الصدد نجد الكثير من الكتاب والفنانين استخدموا المرأة كدلالة رمزية عن الوطن ومثال ذلك الكاتبة استخدمتها كشخصية أنثوية من ناحية ومن جهة أخرى رمزا للوطن " فالوطن هو الأم التي ترضع أطفالها

وتطعم أبنائها من خيراتها دون أن تمس كرامتهم بسوء لأنهم أبناءها" (تهاني، 2004، صفحة 31)،فنحن بذلك لا نستطيع فصل أي فن عن الإنسان ولا عن حواسه ولا عن أفكاره فهو قد أحب الجمال الذي ميّز الطبيعة وأحب ذاته والآخر، فقد نفذ للحياة وساهم في خلق سعادة مختلفة، فكم من رواية عبرت عن الإنسانية في ذات كاتبها ،وكم من لوحة فنية عكست روح وإلهام صاحبها فالفن هو مورد الحب والنور .

9.بعض لوحات حسين زيان في رواية عابر سرير :

1.9.لوحة الأحذية :

كما جاء في الرواية هي لوحة رسمها زيان تخليدا لضحايا مظاهرات 1961م تمثل شباك الحرية محملة بأحذية بمقاييس وأشكال مختلفة تبدوا عتيقة ومنتفخة بالماء المتقاطر منها، رسمها الفنان تخليدا لضحايا مظاهرات 17 أكتوبر 1961 بباريس الذين خرجوا في مظاهرات مسالمة مع عائلاتهم للمطالبة برفع حظر التجول المفروض على الجزائريين فألقى البوليس الفرنسي بالعشرات منهم موثوقي الأطراف في نهر السين ، مات الكثيرون منهم غرقا وظلت جثثهم وأحذية بعضهم تطفوا على نهر السين لعدة أيام لكون معظمهم لا يعرف السباحة (أحلام مستغانمي، 2003)،فأراد الفنان لهذه اللوحة أن تكون شاهدا على تاريخ المقاومة الجزائرية خارج الوطن وناطقا عن كثير من الجرائم التي ارتكبتها فرنسا في حق الجزائريين، فكانت رسالة شاهدة على حجم الانتهاكات الهمجية التي ارتكبها الاستعمار الفرنسي في حق الجزائريين . (كربيع، 2015/2014، صفحة 231)

2.9.لوحة الجسور :

كانت لوحة الجسور نافذة يطل من خلالها زيان على وجه قسنطينة ((قد تتوقف عند كل جسر من جسورها ورسمه عدة مرات ، لتكتمل عنده مجموعة معروضة تمثل جميعها جسورا مرسومة في ساعات مختلفة من النهار بجاذبية وتكرار مربك في تشابهه ، كل ثلاث أو أربع منها للجسر نفسه .....)) مثلت هذه الجسور كل من جسر باب القنطرة أقدم جسور قسنطينة جسر سيدي راشد بأقواسه الحجرية العالية ذات الأقطار المتفاوتة ،وجسر الشلالات مختبئا كصغير بين الوديان ،وجسر سيدي مسيد أعلى جسور قسنطينة قبل أربعين سنة رسمها يوم كان يعالج في تونس أثناء ((و قد كانت لوحة " حنين " التي رسمها أوّل تجربة له في الرسم و التي تمثل جسر سيدي مسيد.)) حرب التحرير 1956 وهي أعلى جسور قسنطينة حيث كان مرسوما على لوحة فريدة تمثل جسرا معلقا من طرفين بالحبال الحديدية على علو شاهق كأرجوحة في السماء.

3.9 لوحة الأبواب :

من خلال الرواية نجد أن " الأبواب التي تشغل عددا من لوحاته ، أبواب هاجس التكرار والتعدد مجسدا عددا من الأبواب العتيقة ، وموصدة، وأخرى موارية ، أبواب آمنة وأخرى مخلوعة " (أحلام مستغانمي، 2003، صفحة 258) رسم الفنان حسين زيان الأبواب في رواية عابر سبيل كان له مغزى ديني وطني وسياسي، كما تعمد تكرار الأبواب في لوحاته بغرض الاسرار على الوصول على فكرة او هدف معين، من خلال التمسك بما يملك في ذلك المكان ،ففي أحد لوحاته رسم باب الوداع، فأراد بذلك ان يوصل لنا ان لكل شيء نهاية ونهايته كفنان او وطني يحب وطنه قادمة لا محالة ، كان لهذه لوحات قيمة فنية ورموز شتى ومغزى مهم فقد يصعب على المتلقي للفن أن يستخلصها ، فهكذا هو الفن تعبير عن ما يجول في داخل الفنان من أفكار وخبايا .

بعد هذا الوصف البسيط الذي لا يمثل إلا جزءا صغيرا من الناحية الفنية حيث شمل بعض اللوحات الموظفة في رواية عابر سبيل فيمكن القول إنّ هذا التوظيف الهائل للفنون ساهم في الاقتراب من الدلالات الكامنة وراء حضور فن التصوير في الرواية كما أثبت هذا التوظيف الذي ساهم في دفع حركية السرد جماليا أن فنا من نوع آخر لم يكن عائقا لاسترسال أحداث الروايات حيث جعلت الكاتبة اللوحات الفنية تبدوا كشخصيات تحس وتتكلم وتشارك باقي الشخوص همومها، وبل وألقت على عاتقها مهمات سردية مكثفة لبسط الأحداث وتأزمها، فما ظهر في الرواية من لوحة أو صورة إلا كانت نتاجا لأزمة إنسانية ما وما إعادة إنتاجها الفني إلا محاولة لتقديم وعرض وتجميل ذلك الواقع (كربيع، 2015/2014، صفحة 210) فتكون بذلك الكاتبة قد ساهمت في نفاذ مختلف الفنون إلى روايتها مما أضاف إليها جاذبية منحتها جمالية أكثر وتألق.

خاتمة

تبين من خلال ما سبق انفتاح النص الروائي على النص البصري عن طريق تداخل يحمل في طبيعته جمالية والإبداع فهو امتزاج بين فنين لكل منه خصوصياته حيث نتج عن تلاحمهما قوة فنية أصبحت تعتبر دافعية لكل روائي أو فنان فأصبحت الرواية بذلك الصدر الرحب الذي يستقبل الفنون بأنواعها ليبعثها من جديد إلى المتلقي فتذوقها كل على طريقته فهذا التداخل أفسح المجال لكثير من الباحثين وكتّاب والفنانين مجال واسعا لتقديم الأفضل فأصبح كل من الروائي والفنان يتأثرون ويؤثرون ببعض وكما سلف الذكر في المثال المدروس عن الروائية أحلام مستغانمي والجمالية التي أفرجت عنها رواية عابر سرير حيث تعمدت الروائية إسناد شخصياتها الرئيسية وظيفة فنية من خلال نماذج الفنية هادفة و ذات دلالة رمزية وكان هدفها الأول تقريب الفنون والأدب .

المصادر و المراجع :

1)إبراهيم مردوخ .(1989) .الحركة التشكيلية المعاصرة بالجزائر .الجزائر . المؤسسة الوطنية للكتاب.

2) ابراهيم مردوخ .(2005) . مسيرة الفن التشكيلي بالجزائر .ط01 .الجزائر : دار الهومة.

3)أحلام مستغانمي .(2003) .عابر سرير ط 2. بيروت: منشورات أحلام مستغانمي.

4)أحمد, س. م .(1989) .الرواية الإنسانية و تأثيرها عند الروائين العرب .الجزائر . المؤسسة الوطنية للكتاب.

5) أرنؤوط عبد اللطيف .(2013) .أحلام مستغانمي مرافئ إبداعية في الثقافة والأدب .ط01الكويت: درا العربية للفنون.

6)أسماء بنت عبدالله .(2007) .معارض الفن التشكيلي .المملكة العربية السعودية.

7)البخوش, ا .(2007) .التدليس على الجمال .الجزائر : المؤسسة الوطنية للاتصال.

8)بوعيطة, س .انفتاح النص البصري–دراسة في تداخل الفنون التشكيلية ل صدام الجميلي .مجلة الأفكار،فنون.

9)تكواشت, ع .(2012) .واقع و أفاق الطاقة المتجددة ودورها في التنمية التنمية المستدامة في الجزائر .مذكرة ماجستير.باتنة. الجزائر.

10)تهاني, ش .(2004) .محمود درويش ناثرا .الأردن: المؤسسة العربية للنشر و التوزيع.

11)حسين على .(2010) . فلسفة الفن رؤية جديدة ط01 .بيروت: التنوير للطباعة و النشر

12)ميشال عاصي.(1970)الفن و الأدب ط02. بيروت.المكتب التجاري للطباعة و النشرو التوزيع.

13)خليل محمد الكوفحي. (2009) .مهارات في الفنون التشكيلية ط01 .الاردن : عالم الكتاب الحديث،.

14)د عبد الوهاب أبو هيف .(2000) . النقد والتحليل الأدب العربي الجديد في القصة و الرواية والسرد .إتحاد كتاب العرب.

15)رينيه ويليك وارين اوستين، تر: صبحي محي الدين .(1987) . نظرية الادب .بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

16)طارق عابدين إبراهيم عبد الوهاب ,2012) .يوليو .(قراءة الصورة التشكيلية بين الحقيقة و الإيحاء) .العدد الأول .

17)عادل فريحات .(2000) .مرايا الرواية –دراسة تطبيقية في الفن الروائي .–دمشق .منشورات اتحاد كتاب العرب.

18)عادل فريحات .(2011) .مرايا الروايا، دراسات تطبيقية في الفن الروائي .القاهرة : منشورات اتحاد الكتاب العرب.

19)عبد المالك مرتاض .(1998) .في نظرية الرواية– بحث في تقنيات السرد .–الكويت .المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب.

20)كربيع, ن .(2014/2015) .،توظيف الفنون في ثلاثية أحلام مستغانمي (ذاكرة الجسد /فوضى الحواس /عابر سرير)،مذكرة لنيل درجةدكتوراه العلوم في الأدب العربي. قسم اللغة والأدب العربي .جامعة الحاج لخضر.باتنة .

21)لشكر حسن 1431هـ. الرواية العربية والفنون السمعية البصرية .المملكة العربية السعودية: مجلة العربية.

22)لطيف زيتوني .(2012) . معجم مصطلحات نقد الرواية .لبنان : دار النهار للنشر.

23) مرشد أحمد .(2005) .البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله .ط01. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.